HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة
معامل التأثير العربي للعام 2020م = 0.44

عنوان البحث

الطرق الصوفية في موريتانيا، والتعريف بمشايخها

د. محمد الأمين محمد فاضل[1]

[1] مركز الافتاء – ابو ظبي
بريد الكتروني: lmeinfadel@gmail.Com

تاريخ النشر: 2021/04/01م تاريخ القبول: 2021/03/27م

المستخلص

سلط هذا البحث الضوء على موضوع مهم، يهم الباحثين والمهتمين، بالتفرقة بين التصوف السني الحق، الذى أصحابه هم العلماء العاملون، ومشايخ جامعات متنقلة على ظهور الإبل، في صحراء المغرب العربي، رأينا أنه كان لهذه الطرق في موريتانيا، وإفريقيا، والمغرب العربي دورا كبيرا في الإصلاح في جميع المجالات، لذلك، جاءت فكرة العمل، والهدف منه، فقد عمل مشايخ الطرق، على نشر الإسلام الوسطي المعتدل، عبر مراكز التنوير الإسلامي، وسط شعب وثني، رحب برجال الطرق، باعتبارهم مشايخ وأئمة وفقهاء وأصحاب أسرار ومعلمين...، بين البحث أهم الطرق الصوفية في موريتانيا، وما صاحب وصولها، وتاريخه وكيفيته، كما بينا، أن التصوف في بلاد شنقيط، شكل أهم عامل في وحدة الإسلام والمسلمين لتسامحه في المنهج وتجنبه التكفير وتعظيم حرمة المسلم وعدم الخروج على الحاكم.. إلخ

الكلمات المفتاحية: الطرق الصوفية، موريتانيا، مشايخ، علماء.

RESEARCH ARTICLE

SUFI ORDERS IN MAURITANIA, AND THE DEFINITION OF ITS SHEIKHS

Dr. Mohamed El-Ameen Mohamed Fadil[1]

[1] Al Iftaa Center - Abu Dhabi
Email: lmeinfadel@gmail.Com

Published at 01/04/2021 **Accepted at 27/03/2021**

Abstract

This research sheds light on a topic that concerns researchers and those interested in distinguishing between true Sunni mysticism “tasawof” or Sufism , whose masters and sheikhs are actively involved scholars with solid knowledge of Islam fundamentals, they travelled the Sahara on the backs of camels and spread the knowledge. The research idea and its goal are generated through efforts to discuss the impact of Sufi Orders in Mauritania, Morocco and Africa, and the major role they played in reforming life aspects. The Sheikhs of Sufi Orders “Tariqa” worked to spread moderate Islam through enlightenment Islamic centers that was founded in the region among pagan inhabitants, who welcomed the followers of the “Tariqah” as blessed sheikhs, imams, jurists, and teachers. This research presents the important Sufi orders in Mauritania and what accompanied their arrival, their history, and their method. The research further elucidates how Sufism “tasawof” was an important factor in the unity of Islam and Muslims in the land of Chinguetti through implementing a methodology of tolerance, avoiding blasphemy, emphasizing the sanctity of the Muslim and avoiding rebellion against the rulers.

Key Words: tasawof, Sufism, Sufi Orders, Sheikhs

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين.

بادئ ذي بدء نوضح لما ذا سمى مشايخ الشريعة والحقيقة، " مشايخ الطرق الصوفية "، طريقتهم في التعبد بالطرق؟ كالطريقة القادرية الشاذلية...مثلا... إلى آخره، الأمر في نظري واضح جدا، ذلك أنهم يبحثون عن الهداية لأنفسهم، ولمن اتبعهم، والأصل في الهداية الطريق، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: (اهدنا الصراط المستقيم، (الفاتحة الآية: 6)، وقال أيضا سبحانه: " وقد هدانا سبلنا" (ابراهيم: 12)، وقال أيضا: (عسى ربي أن يهدينى سواء السبيل) (القصص: 22)، وقال سبحانه أيضا: (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) (الشورى: 52)، أي الطريق المستقيم... إلى غير ذلك من الآية الواردة في هذا المعنى...

وقد شكل مشايخ الطرق الصوفية " مشايخ الشريعة والحقيقة"، نظرا لقداستهم الروحية حرما آمنا منيعا ومرتعا خصباً يأوي إليه كل مشرد من جميع فآت المجتمع، سواء كان أعرابيا منهزما من أهل السلاح، أو طالبا يريد العلم، أو مريدا يريد صلاح القلب، أو فقيرا يريد من ينفق عليه أو طالب علم يريد أن يتعلم أو طالبا زواجا.... أو غير ذلك، كما مثل مشايخ الطرق الصوفية سلطة بديلة وإطارا أوسع يتجاوز ثنائية العربان والزوايا وجد فيه المهمشون المتطلعون إلى اكتساب أمجاد جديدة ضالتهم المنشودة، وهكذا بفعل تلاقح العوامل السابقة، وأخرى ربما لم تبد لنا، برزت في البلاد الموريتانية مجموعة من الطرق الصوفية، كان لها دورها البارز في الإصلاحات في شتى مجالات الحياة، فمع بداية القرن التاسع عشر حملت الطرق الصوفية في موريتانيا رسالة الإسلام للشعوب السوداء، ولا جدال في أن بقاء الجماعات الصوفية وامتدادها إلى الآن، إنما هو دليل على قيام هذه الجماعة بأدوار ووظائف فعالة للفرد والمجتمع كفلت لها الاستمرارية، وتوجد في موريتانيا أغلب الطرق الصوفية الموجودة في شمال إفريقيا، وقد عرفت موريتانيا طرقا صوفية لا عوج فيها ولا أمتا، ولاكن تختلف أهميتها من حيث المكانة والانتشار وهي أساسا ثلاث طرق، الطريقة القادرية، بشقيها، " الفاضلية والبكائية" والشاذلية، والتجانية، بشقيها، وسنتعرض لهم في هذا المبحث بالتفصيل إن شاء الله.

المبحث الأول: أهم الطر الصوفية في موريتانيا:

وسنتكلم عليها تباعا حسب أقدمية وصولها للبلاد، وذلك على النحو التالي:

1- الطريقة الشاذلية وروادها:

نبدأ بها لأنها أول الطرق الصوفية التي دخلت موريتانيا، تنسب هذه الطريقة إلى السيد أبى الحسن الشاذلي (ت939هـ [1]) وكان قد ظهر في مصر وقد برز من مريدوه في المغرب أحمد زروق ثم محمد بن ناصر الدرعي وبهاذين الشيخين العلمين تمر السلسلة الشيخ سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم تلقاها خلال إقامته بفاس، وكان لا يلقن أورادها إلا لمن درس أحكام الشرع، وعنه تلقاها تلميذه أحمد بن اطوير الجنة، ومن أصحابها كذلك الشيخ لمرابط محمذن فال بن متالى، ولمرابط يحظيه بن عبد الودود، والفتح الفقيه الخطاط، وعبد الجليل بن حرمة [2].

---

[1] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية المؤلف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: 1360هـ) مع تعليق: عبد المجيد خيالي الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

2الخليل النحوي بلاد شنقيط المنارة والرباط، الجمعية العربية....تونس 1987،

وقد دخلت الطريقة الشاذلية إلى بلاد شنقيط، متزامنة مع دخول القادرية للمنطقة، إلا أنها انتشرت بشكل كبير خلال القرن 12 هـ-، وعنها يقول يحيى ولد البراء:

كثرت فروعها في منطقة غرب وجنوب غرب الصحراء، وانتشر مشائخها في جميع مناكبها خلال القرنين 12 هـ/ 18 م و 13 هـ/ 19 م، وخصوصا فرعها "الناصرية" لكنها سرعان ما بدأت في الانحسار عندما أخذت الطريقة التجانية تحتل مكانها بين السكان، ابتداء من نهاية القرن 13 هـ/ 19 م وبداية 14 هـ/ 20 م، لم نستطع بعد تعليل عدم تعايش الطريقتين كما وقع للقادرية مع التجانية، وإن كنا نلاحظ أن الأوساط التي كانت تنتشر فيها الطريقة الناصرية هي نفسها التي أصبحت تجانية مع مجيء هذه الطريقة

وربما تكون هذه أولى الطرق الصوفية التي دخلت البلاد وترجع في أسانيدها إلى أبى الحسن الشاذلي (ت 939هـ)/ 1520م)، ومن أبرز مريديه في بلاد المغرب أحمد زروق(ت963هـ/1544م)، ثم محمد بن ناصر الدرعي وعن هذا الأخير دخلت الشاذلية إلى موريتانيا عن طريق سيد عبد الله التنواجيوي (ت 1145هـ/ 1726م)، الذى تتلمذ على الدرعي في زاوية تامكورت بالمغرب.

وتتميز الشاذلية في موريتانيا بأنها ذات طابع ظاهري اهتم أصحابها بالعلوم الظاهرية فقط ولم يكن لهذه الطريقة أي تنظيم مؤسسي يذكر نظرا لبساطتها.

ولعل من أظهر بساطتها في موريتانيا عدم قبول الشيخ فيها حتى مجرد التلقيب باسم الشيخ ولذا ظلت هذه الطريقة أقرب إلى الكتاتيب منها إلى طريقة صوفية.

وربما كانت هذه البساطة من أهم عوامل عدم انتشار هذه الطريقة في موريتانيا، مقارنة مع غيرها حيث لم يحظى مشايخها في الغالب بتلك الهالة القدسية التي تضفى عليهم، فتجعلهم غالبا محل تقديس واجتذاب لأكثر المريدين، كما أنه من أهم خصائص هذه الطريقة أنها ظلت نخبوية لا تعطى تعاليمها للعامة لذلك نجد معتنقيها أساسا من ألمع علماء موريتانيا، كالشيخ سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم، والطالب أحمد بن اطوير الجنة ومحمذن فال بن متالى، بينما وجدت طرق أخرى على النقيض من الشاذلية، كانت شعبية أكثر منها نخبوية.

وانقسمت الشاذلية في موريتانيا إلى قسمين، قسم شاكر لا يلبس إلا فاخر الثياب، من أشهر رواده، سيد عبد الله ولد الحاج ابراهيم ومحمذن فا بن متالى،

وللشاذلية فرع آخر: انتشر في الشمال الموريتاني خلال القرن العاشر الهجري، ويرجع سنده الأصلي إلى الشيخ زروق، إلى أن يصل السند إلى سيد أحمد لعروسي، أحد أعيان العلماء بمنطقة شنقيط، وقد عرفت البلاد الشنقيطية أساسا الفرع الناصري، نظرا لأن أسانيد العلماء

الذين أخذوها، كانت في معظمها ترجع إلى الشيخ محمد بن ناصر الدرعي آنف الذكر (ت 1036 هـ- 1626 م)، وقد نقلها إلى بلاد شنقيط كوكبة من العلماء الأفذاذ، وذلك ما سيتضح لنا بعد حين.

إن صفاء الشاذلية ونقائها، جعلها مصدر اهتمام علماء الشناقطة وذلك ما ذهب إليه بعض الباحثين الموريتانيين مثل الدكتور. حبيب الله الذى يقول: "إن مبادئ الشاذلية، وأفكارها ومعتقداتها، جذب إليها كثيرا من صفوة علماء موريتانيا، وفقهائها وشعرائها، الذين أسسوا حضارات (زوايا) ظلت ومازالت تعانق المحاضر(الجامعات) البدوية المتنقلة على ظهور العيس، ويعتبر حبيب الله أن أول من أوصل الشاذلية، المتمثلة في فرعها الناصري من علماء الشناقطة الذين زاروا زاوية "تامكروت" وحصلوا على إجازات من شيوخها هم: سيد عثمان بن سيد عمر

الولي المحجوبي (ت 1132 هـ- 1719 م)، وسيد عبد الله التنواجوي (ت 1145 هـ- 1732 م)، وختار ولد المصطفى ولد الحاج أبي بكر بن الحاج عيسى الغلاوي (ت 1146 هـ- 1733 م) والطالب محمد الحاج عيسى الغلاوي (ت 1146 هـ- 1733 م) والطالب محمد بن الطالب عمر الخطاط.(ت 1165 هـ- 1751 م).

وقد توسعت الشاذلية وقوي نفوذها في المحاضر الشنقيطية خلال القرن الثامن عشر والذي يليه، وذلك لبساطتها، وانسجام مبادئها مع ميول أهل الصحراء وطبائعهم، وعدم وجود منافس قوي لها.، فالطريقة الشاذلية- كما رأينا - أقدم الطرق الصوفية وصولا إلى بلاد شنقيط، فقد أخذها محمد الشنقيطي عن الشيخ زروق الفاسي البرنسي...، ويذكر المختار بن حامد أن أشفغ الخطاط عمر بن محمد البرتلي (ت 1196 هـ- 1781 م)، أخد عن سيدي أحمد التواتي بزاويته في تامكروت (ت 1138 هـ- 1725 م)، وأخد عنه أيضا الطالب الأمين بن الطالب الحبيب الخرشي (ت 1166 هـ- 1752 م)، ومحمد بن الطالب بن أعمر البرتلي (ت 1165 هـ-1751 م).

وقد تطور هذا السند الشاذلي في بلاد شنقيط " موريتانيا" وتداوله كثير من مشايخ الصوفية وأخذ عنهم قبل أن يتراجع نسبيا كما رأينا.....

وقد تفرع عن الشاذلية في موريتانيا زوايا وفروع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

الزاوية المرتيلية:

توجد هذه الزاوية في مدينة ولاتة التاريخية، وفي إنشيري، وتنسب إلى جد قبيلة برتيل، الذى ينسب إلى الصالح أبى الرنبلاء الأنصاري، ومن أبرز شيوخ هذا الفرع محمد بن الطالب البرتلي، وعمر الخطاط،- سبق ذكرهما- وقد أخذاها عن سيد أحمد الحبيب السجلماسي المغربي. ومحمد بن أبي بكر الصديق البرتلي (ت 1219 هـ-(1804 م).[3]

الزاوية القظيفة:

هذه إحدى الطرق الشاذلية في المنطقة (بلاد شنقيط) فرع من فروع الشاذلية المميزة، التي ظهرت في منطقة غرب وجنوب غرب الصحراء، الطريقة القظفية نسبة إلى مؤسسها الأول الشيخ محمد الأغظف بن (أحماه الله) بن صالح (ت 1202 هـ)، وهو صوفي صالح ينتمي إلى قبيلة الجعافرة، من أولاد داود الموجودين في منطقة الحوض (الشرق من موريتانيا)، وقدأخذ هذا الشيخ -حسب ما تحصل عندنا من معلومات- عن شيخ يوصله إلى شيخ الزاوية الناصرية بتامكروت سيدى محمد بن ناصر الدرعي، وقد احتدمت آراء المؤرخين حول تاريخ وفاته فيرى ظريف أنه توفي في:(1277 هـ- 1860 م)، أما د حبيب الله فيقول الشيخ محمد الأغظف الحساني (ت 1218 هـ- 1803 م) والمدفون في المبروك في الحوض الشرقي...وقد تخلى عن الحياة العسكرية إلى الحياة الصوفية، وكان يلقب بالسلطان، وأسس هذه الحضرة التي جعلها مزيجا من الشاذلية الناصرية الدرعية والقادرية الفاضلية.

وتعتبر هذه الطريقة من أكثر الطرق الشاذلية انتشارا بالمنطقة، وقد بلغت مع الشيخ المختار بن الطالب اعمر بن نوح البصادي، - عنفوان ازدهارها خلال القرن 13الهجري -19م، والذي سافر إلى الحج وبقي في الطريق في

[3] محمد ظريف الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية، بحث لنيل دكتوراه إشراف عباس الجراري، كلية الآداب 1993 بالرباط مرقونة.

منطقة فزان الليبية، ويذكر يحي ولد البراء أن عمر المختار المجاهد الليبي أخذ هذه الطريقة عن هذا الشيخ الشنقيطي[4]

وقد تفرعت هذه الطريقة إلى فريقين كبيرين هما:

مدرسة أهل بيه:

توجد هذه الطائفة في منطقة الحوض الشرقي بشنقيط، وقد تميزت هذه الطريقة باهتمامها بالعلم وتدرسيه، فأصبحت ميزتها العلمية أقوى من خصوصيتها الصوفية.

وفي الحوض الشرقي ازدهرت الشاذلية الغظفية القادرية، على يد الشيخ محمد محفوظ بن بيه المسومي (ت 1393 هـ- 1975 م)، الذي ولد بالحوض وتحديدا بضواحي ولاتة، وتوفي في حاضرة " لقليك" قرب تنمبدغة في الحوض الشرقي.

وقد جمع هذا الشيخ بين الحضرة القظفية الزاهرة، والمحضرة العلمية العامرة، وأخذ علوم اللغة العربية عن العالم اللغوي محمد بن سالم بن الشين...فصارت محضرة ابن بيه هذا، وحضرته كعبة لطلاب العلوم الشرعية واللغوية، وقد وصفها المؤرخ الفرنسي بولمارتى بأنها « مدرسة للحقوق »

وكان في نفس الوقت قاض وشيخ محظرة تدرس عليه كل الفنون الشرعية وهذا ما يؤكد لنا تشبث مشايخ الطرق الصوفية في العلم، وبدورهم في الإصلاح في جميع الأصعدة وما زال ولده علامة العصر الشيخ عبد الله بن بيه على هذا النهج من تدريس وفتيا وقضاء وإصلاح.... مد الله في عمره [5].

مدرسة أهل الشيخ الغزواني:

توجد هذه الطائفة في منطقتي: آدرار ولعصابة، وقد جددها الشيخ الغزواني (ت 1386 هـ/ 1966 م)، وقد تميزت بالمبالغة في الزهد والتقشف، وقد شهدت الشاذلية الغظفية ازدهارا ملحوظا في عهد الشيخ سيدي المختار بن الطالب أحمد بن نوح البوصادي الذي أخذها عن الشيخ محمد الأغظف، وفي عهد سيد أحمد بن عمار البوصادي (ت 1297 هـ- 1880 م) المعروف بالشيخ الأغظف، والشيخ محمد محمود الملقب بالخلف (ت 1323 هـ- 1905 م)، ثم ابنه الشيخ الغزواني، ومازالت هذه الطريقة قائمة في ولاية العصابة، وتتداخل المدرسة الغزوانية هذه في بعض مسلكياتها مع الطريقة القادرية، حيث يرجع إليها بعض أسانيدها، مما يجعل البعض ينسبها إلى القادرية.

وقد علل ولد البراء ذلك الالتباس، بأنه ربما يكون ناجما عن كون سندها الشاذلي يمر بالشيخ عبد القادر الجيلاني ، وتميزت هذه الطريقة إضافة لما أسلفنا، بالتفاني في طاعة الشيخ والتركيز على العمل والإنتاج، كما تميزت ببعض الأمور الذي أدى إلى ردة فعل من طرف بعض العلماء، الذين أنكروا على هذه الطريقة، وألفوا في ذلك كتبا منهم محمد الأمين بن أحمد زيدان الجنكي (ت 1335 هـ- 1916 م)، وقبل ذلك كان أيضا محمد يحيى الولاتي.

وقد اشتدت ردة فعل بعض فقهاء الشرق الموريتاني "الحوض" على الطريقة القظفية؛ مما اضطر أمير مشغوف:

[4] مجموعة الفتاوى الكبرى

[5] أحمد حبيب الله، ندوة تطوان 2009

علي بن محمد محمود بن لمحميد إلى استدعاء الفقهاء لمحاكمة أصحاب هذه الطريقة ممثلين إذ ذلك في شخص الشيخ عالي بن عبد الله بن يوسف الدليمي، المعروف بالشيخ عالي ولد آف.، ويبدو أن هذا الشيخ قد أحسن الدفاع عن طريقته، فخلى الأمير سبيله واستمر في مزاولة نشاطه في التربية في زاويته بالحوض،..

ونلاحظ مما سبق أن الأمراء كانوا كثيرا ما ينصبون أنفسهم لتحكيم المناقشات، التي يعقدوا لها منتدى خاصا بين الفقهاء والمتصوفة، وهذا ما يذكرنا بما وقع أيام الدولة المرابطية، عندما بدأ ابن تومرت ببعض تصرفاته الصوفية، واشتد عليه النكير من طرف علماء زمانه، فعقد الأمير المرابطي علي بن يوسف مقارنة، أحسن فيها ابن تومرت الدفاع عن نفسه فخلى سبيله مما زاد أتباعه.

وفي هذا الفرع من الشاذلية خصص له الشيخ محمد الكنتي جزءا من الرسالة الغلاوية، انتقده فيها نقدا لاذعا.

وعنه يقول د. حماه الله ولد سالم: إن الشيخ سيد محمد الكنتي (ت 1242 هـ)، وجه نقدا لاذعا شديدا لهذه الطريقة... في كتابه « الرسالة الغلاوية » 1826م.

وقد تميزت القظفية بعدة مميزات منها:

1- التقشف فلا يهتم أتباعها بالمظاهر.

2- الانغلاق: حيث أن المريد يسلم نفسه للشيخ، كميت بين يدي غاسليه.

3- الرقص والجذب: فعندما يجتمع أتباع هذه الطريقة للذكر، فإنه تصدر عنهم أصوات للتهليل والتكبير، حتى يسقطوا بعضهم صرعى، هذا بالنسبة للاتباع أما الشيوخ فإنهم يأسفون من هذه الأعمال المنافية للكتاب والسنة.

4- رفضهم للمستعمر: لقد شكلت الزاوية القظفية أكبر معقل للمقاومة، وجندوا الأتباع للجهاد ونظموا الهجرات الجماعية.

وقد اعتمد د. ظريف تقسيم الفروع الشاذلية حسب المناطق، مثل:

أولا: مركز آدرار: الذي قال إنه تمثله مجموعة من إد وعلي، وإدوا الحاج مثل سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم (ت 1233 هـ- 1818 م)، والطالب أحمد بن طوير الجنة وغيرهما، ويعتمد سندا خاصا يربط شيوخه بالشاذلية. » (ت 1265 هـ- 1848 م)، فقد أخذ سيد عبد الله العلوي الناصرية خلال إقامته بفاس، وعند عودته إلى الصحراء كون وردا خاصا به أعطاه لتلامذته، وعنه أخذها الطالب أحمد بن طوير الجنة.

ثانيا: مركز الترارزة:

وتمثله أسرة حمدي بن المختار بن الطالب الأجود(ت 1220 هـ- 1805 م)، ويعتمد سندا خاصا يربط أتباعه بالشاذلية، يتصل بالشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، عن طريق الفغ الخطاط الذي أخذ الناصرية عن سيد أحمد التواتي من الزاوية الناصرية بتامكروت، ومن أبرز شيوخ هذا الفرع: باب الكبير بن حمدي (ت 1251 هـ- 1835 م)، والمرابط باب بن محمد بن حمدي (ت 1316 هـ- 1898 م)، ومحنض باب إمام الحاجي، ويحظيه ولد عبد الودود....

وقد ساهم هؤلاء الشيوخ الأجلاء في توسيع دائرة الشاذلية، في مجموعة من القبائل المعروفة بالعلم مثل: أولاد ديمان، وإيكمليلي، وتاشدبيت وغيرهم، حيث نقلها زائد المسلمين التاشدبيتي إلى قبيلته، ومحمد بن بكر بن المرابط التكروري إلى قبائل الولوف وغيرها من قبائل الزوايا والسودان.

ثالثا: مركز تندغة:

وقد عرفت هذه القبيلة الطريقة الشاذلية على يد عالمها الفذ الشيخ المرابط محمد فال بن متالي(ت 1287 هـ- 1870 م)، ويعتمد سندا ثالثا للشاذلية في الصحراء،

يرتبط بالناصرية عن طريق أحد رجال تندغة يدعى ابن عفان، وقد ساهم كغيره من المراكز الشاذلية في الصحراء في نشر التعاليم الناصرية، في مختلف المناطق المجاورة له، فتجاوز تأثيره قبائل تندغة وامتد إلى غيرها.

وفي الأخير ما هي أهم الطرق، والفروع الأخرى التي تأثرت بهذه الطريقة

وأصبحت مستقلة عنها؟ وإلى أي مدى أثرت الطريقتان الأقدم في(بلاد شنقيط القادرية والشاذلية) في خلق مناخ صوفي رحب نهل منه رجال، فوصلوا إلى مرتبة خولت لهم الاستقلالية في السند والورد!

إن لجذور الشاذلية بالمنطقة، وخاصة الفرع الناصري، دورا كبيرافي جعل بعض العلماء الذين تبحروا في العلوم الشرعية، والذين أخذوا أوراد الشاذلية كمرحلة الشيوخ تمهيدية من بناء منهجهم التربوي، يستقلون بعد ذلك، ويؤسسوا طرقا وزوايا مستقلة إلى حد ما، أمثال الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، الذي أسس طريقة خاصة به، وقدأردنا أن نخصص لها فقرة خاصة، نظرا لما لهذا الرجل من ثقل ووزن في العطاء العلمي في البلاد، وما امتاز به من إشعاع علمي وما ازدانت به المحظرة الموريتانية من كتبه وكذلك دوره في الجانب الصوفي التربوي، وما تخرج من محضرته وزاويته من العلماء الأفذاذ.

وبما أنه شكل خلافا بين الباحثين: ما بين قائل بانتمائه لفرع من الشاذلية يسمى السمانية، ومنهم من يعتقد غير ذلك، معتبرا أن سيد عبد الله صاحب طريقة صوفية مستقلة، أسس قواعدها على الشريعة، وقام بخلطها بالتصوف ليعتدل الميزان، وهذا الرأي يمثله بكل جدارة د. الأستاذ الجامعي التجاني ولد عبد الحميد، الذي اهتم بتراث الرجل، واشتغل على فك ذلك الإشكال، فقدم كتبا قيمة في هذا المجال، وأزاح الستار عن الغموض في تجربة صوفية فردية، استطاعت أن تؤسس البناء، حتى استوى على سوقه.

السيدية السبعية:

أسس هذا الفرع الشيخ سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم بن الإمام عبد الرحمان بن الإمام...، وأمه مريم غلة من قبيلة الأغلال، فهو إذن علوي الأب بكري الأم، إذ ينتهي نسب أبيه على المشهور- إلى مولاي سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه من زوجه فاطمة الزهراء. وقد وصل قومه إلى بلاد.(شنقيط قادمين من تبلبالت، وقد جاؤوا إليها من تلمسان، فأسسوا ميدنة آبير 160 هـ [6].

الشيخ سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم:

ولد الشيخ سيدي عبد الله سنة (1153 هـ - 1738 م) ونشأ في وسط علم وصلاح،

فنهل من المحاضر وتدبر في علم الظاهر، ولازم علامة عصره ومجدده المختار ولد بونه الجكني، وحرمه ولد عبد الجليل، وصار يمثل المنحى الأصولي في البنية المعرفية لبلاد شنقيط. وفي هذا السياق جمع أولا ما في

[6] السيدية السبعية، التجاني، مرقون،

الصحراء، ثم أقام بفاس مدة كثيرة؛ للنظر: يقول عنه صاحب الوسيط: [7] "وتلقى على البناني محشي عبد الباقي، وتلقى البناني عنه أيضا بعض المعارف، ثم لقي من يشار إليهم من علماء مصر خلال رحلته للحج

ويقول عنه التجاني، فقد خرج من تجكجة (مدينته الأصلية) وهو ابن 22 سنة وقدم إليها بعد 12 سنة من خروجه، فصارت مدة تعلمه وحجه 12 سنة، وقال عنه أيضا:

لقد لازم العلامة سيد محمد بن حسن البناني، والشيخ محمد بن تاودي بن سودة، وأمثالهما من علماء فاس، ومكناس، ومراكش سنين عديدة

وكان لرحلة سيدي عبد الله هذه وأخذه العلم من شيوخ عدة، سبب في اختلاط الأمر على الباحثين في انتمائه الصوفي، وهذا ما أراد د. التجاني توضيحه عندما نقل نصا عن العلامة الشيخ محمد الكبير العلوي في قوله: وبعدما أدى مناسك الحج مكث: فترة من الزمن بالمدينة المنورة، متصلا بعلمائها ومحدثيها، ولا نعرف من شيوخه بها إلا الشيخ السمان، الذي أخذ عنه التصوف.

وكان للشيخ سيدى عبد الله طريقة خاصة في التربية وهذا ما سنراه مع د التجانى: يقول التجانى: بعد التدبر والتأمل، وجدناه صاحب طريقة مستقلة لا شاذلية ولا سمانية، ولا قادرية، بل هي طريقة أصيلة، مستقلة، متصلة بمدينة العرفان، داخلة من باب سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يعني أن طريقة سيدي عبد الله الخاصة والمستقلة –حسب التجاني– قد أخذت سندها من رسول الله مثل ما وقع للشيخ سيدي أحمد التجاني مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعبد العزيز الدباغ مع الخضير عليه السلام، حسب الاعتقاد السائد في وسطهم.

الطريقة المريدية:

تعتبر هذه الطريقة أيضا من الطرق القادرية في بلاد شنقيط، ولكن انتشارها توسع أكثر في السينغال، تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ أحمد بنب بن محمد بن حبيب الله بن محمد الخير البكي، وقد ولد هذا الشيخ في حدود سنة 1270 هـ/ 1853.

وقد تلقى تعلميه الأول في أسرته،.« انبك » في قرية أسسها جده محمد الخير كانت ذات علم ودين، فأخذ عن خاله محمد بوسر، وعن أبيه محمد بن حبيب الله

المعروف عند ذويه بممر آنت سالي إمباكي، الذي كان فقيها وإماما محترما، عند ملوك المنطقة ومستشارا لهم، كما درس دراسة معمقة على يد محمد بن محمدن الديماني الفاضلي، وعلى يد الشيخ محمد صل (ت 1299 هـ) من أهل بمب الذي يعد أكبر علماء ومشايخ منطقة سالم القادريين ويعتبر الشيخ أحمد بنب في بادئ أمره كان قادريا بكائيا، فهو في الأصل تلميذ للشيخ سيديا، إلا أنه بعد ذلك ذكر أنه لقي رسول الله في المنام ولقنه الورد القادري، وأخرجها لمريديه: قال خذوه [8].

[7] الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك المؤلف: أحمد بن الأمين الشّنْقِيطي (المتوفى: ١٣٣١هـ) عني بتصحيحه وتنقيحه: المؤلف الناشر: الشركة الدولية للطباعة – مصر الطبعة: الخامسة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

[8] التصوف في بلاد شنقيط: مرجعيته القرآنية ومناهجه التربوية (خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين18-19م،

المبحث الثاني: الطريقة القادرية وفروعها في موريتانيا:

تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر أبو صالح سيدى ابن موسى بن عبد الله بن يحي الزاهد بن محمد بن داوود بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن المثنى بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم وهو حسني النسب، وقد ولد في عام 470هـ 1077م في قصبة من بلاد جيلان أيام المستنصر بالله العباسي بن المقتدى بأمر الله أبى القاسم عبد الله العباسن وإقليم جيلان يحده من الشمال بحر قزوين وجنوبا قزوين وأذربيجان، وتقع وراء طبرستان، وهناك من يقول إنه ولد ببلدة الجيل، والجيل يطلق على موضوعين، أحدهما اسم لصقع واسع مجاور لبلاد الديلم يشتمل على بلاد كثيرة ليس فيها مدينة كبيرة، والأخرى بلدة الشيخ عبد القادر، وهي جبل وتسمى الكيل بكاف مشوبة بالجيم وكنيته أبو محمد ولقبه محي الدين،، اتفق أنه قدم على بغداد وله ثمانية عشرة سنة وعاش من العمر إحدى وتسعين عاما وتوفي ببغداد 1165هـ، وقد أقبل على شتى العلوم والمعارف يقتات منها ويسبر أغوارها بذكائه الخارق ودأبه المتواصل، وسرعان ما اكتملت له موسوعية المعرفة والتبحر في كل العلوم، وعلوم الشريعة خاصة، بصورة أذهلت عقول أقرانه فطارت شهرته في مختلف الأرجاء وشدت إليه الرحال في بغداد تستقى من فيوضاته العلمية النادرة، فقد كان رحمه الله يتكلم في ثلاثة عشر علما، وكان يقرأ القرآن بالقرآت العشر، وكان يفتى على مذهب الإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، وكانت فتواه تعرض على العلماء في العراق فتعجبهم أشد الإعجاب فيقولون سبحان من أنعم عليه، [9] وقد أخذ الإمام عبد القادر طريقه في العلوم نحو القمة حتى تربع فصار شيخ وحده، وقد تلقى الطريقة من حماد الدياسى وله عدة مصنفات منها:

- الغنية لطالب طريق الحق
- الفتح الرباني
- فتوح الغيب

وكان يأكل من كسب يده وبرع في الوعظن وتكلم في الزهد فكثر مريدوه، وأقام في مدرسته يدرس فيهان ويتخذها رباطان إلى أن توفي، وقالوا فيه إنه أول من نادى بالطرق الصوفية وأسسها، وأنه فاق أهل زمانه في علوم الدين، وكانت له القدم الراسخة في المجاهدة وقطع دواعى النفس والهوى ووقع له القبول التام، حتى إن عبد الله ابن قدامة 1146هـ-1223، الفقيه الحنبلي المشهور، وصاحب كتاب (ذم ما عليه مدعو التصوف) امتدحه فقال: (لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت أحدا يعظمه الناس للدين أكثر منه)ن وأشاد بسلوكه الإمام ابن كثير لقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكرن وزهده ومكاشفاته، وورعه وصلاحهن كما تأثر به ابن تيمية وقال عن طريقته إنها (الطريقة الشرعية)، وأنه فاق أهل زمانه في علوم الدين، وكانت له القدم الراسخة في المجاهدة وقطع دوام النفس، وكان في التصوف لا يبارى وعلاوة على ذلك فقد تضلع من الأصول والفروع وتقدم على غيره في كل مشروع، وقد اعترف له بذلك كل فقهاء عصره، يقول عنه سلطان العلماء العز بن عبد السلام (الشيخ عبد القادر بلغت إمامته القطع، وكان عالما عابدا متبعا اتباعا لاشائبة للهوى فيه،

[9] الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960)، رسالة الماجستير في الدراسات الإفريقية من قسم التاريخ (التاريخ الحديث المعاصر

ومن أجل ذلك حازت طريقته القبول وقدره المفكرون قاطبة الكبار والصغار وأخذت طريقته في الانتشار منذو القرن الخامس الهجري في كل أرجاء العالم الإسلامي، ولعل أعظم الجهات التي انتشرت فيها هي إفريقيا وبخاصة في شمالها وغربها وكانت أظهر ما تكون في المغرب الأوسط، وقد استطاع أبناؤه السير على منهجه في كافة ربوع العالم الإسلامي، وقد تحددت معالم الجانب السلوكي عند الشيخ عبد القادر الذى حرص بكل وجدانه على اقتحام عقبات الطريق والمضي نحو غاية وهب حياته لها إنها الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، وكان الجانب السلوكي في بدايته حافلا بالمجاهدات يقول: (قاسيت الأهوال في بدايتى فما تركت هولا إلا ركبته، وكان لباسى جبة صوف، وأمشى حافيا، ولم أزل آخذ نفسى بالمجاهدات حتى طرقنى من الله الحال، وإصلاح المتدينين لا يهدأ له بال في ذلك وفتح باب البيعة ودعا إلى التوبة وتداعى إلى ذلك المسلمون من كل ناحية يجددون [10].

وتعتمد الطريقة القادرية وردا خاصا في تربية المريدين، ويتكون أساسا مما خلفه

مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني، من أذكار وصلوات، ويتألف هذا الورد مما يلي:

1- أستغفر الله. وتقرأ مائة مرة

2- سبحان الله. وتقرأ مائة مرة

3- اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. وتقرأ مائة مرة أيضا

4- لا إله إلا الله الملك الحق المبين. وتقرأ مائة مرة.

ويرى الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل – كما جاء في كتابه نعت البدايات وتوصيف النهايات أن ورد القادرية هو:

(استغفروا الله العظيم) مائتين

(لا إلاه إلا الله الملك الحق المبين) مائة

(اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه). مائة

(لا إلاه إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) سبعا

(اللهم يالطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير) سبعا

(اللهم يا واحد يا أحد ياموجود، ياجواد، انفحنى بنفحة خير منك تغنينى بها عمن سواك) سبعا

(اللهم بارك لى في الموت وفيما بعد الموت) أربعا وعشرين مرة.

(اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد، وارض على روح الثقلين سيدى عبد القادر الجيلى، وارض عن شيخى "فلان" أي من أخذت عنه وعن أشياخى أولهم وآخرهم وأجزهم عنى خيرا) ثلاثا، أو سبعا [11].

وو صف الشيخ ماء العينين ورد القادرية هذا بأنه من أجل الأوراد قدرا، وأوفرها ذخرا وأعلاها ذكرا، وأنه يغنى عن جميع الأوراد، ولا يغنى عنه غيره، وأن صاحبه لا يموت إلا على حسن الخاتمة، وكفى بها مزية،- يضيف الشيخ ماء العينين – وحدثنى من أثق به أنه من أسباب الغنى.

وقد لعبت الطريقة القادرية دورا كبيرا على الحياة الاجتماعية قديما وحديثا- وخصوصا في موريتانيا التي يهمنا

---

10 الشيخ ماء العينين نعت البدايات، إصدارات الساحة الخزرجية – أبوظبي دولة الإمارات العربية المتحدة 1430- 2009،

الحديث عنها- وقد أكد كثير من الباحثين أن نجاح انتشار الدعوة الاسلامية في أقطار إفريقيا وغيرها من الأقطار، يرجع الفضل فيه إلى مشايخها الصوفيين، حتى إن بعض كتاب الغربيين أظهروا تخوفهم من انتشار الطريقة القادرية وغيرها من الطرق الصوفية، واعتبروا أن انتشار هذه الطرق خطر على مصالحهم وهكذا كتب المسيوتائيلى حيث يقول: إن الاسلام مدين في كل فتوحاته السلمية وانتشاره في الأقطار لجماعة الصوفية فمشايخ الطرق الصوفية هم في الحقيقة الذين يديرون حركة الإسلام الحية ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على مصالح الأربيين.

ويقول توماس ارنولد (toms Arnold) في كتابه الدعوة الإسلامية في غرب افريقيا:

كانت هناك طرق صوفية تعمل على نشر الإسلام، ومن أبرز هذه الطرق الطريقة القادرية، فهي أوسع الطرق انتشارا في إفريقيا عموما وموريتانيا خصوصا، وقد دخلت القادرية في إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر على أيدى مهاجرين من توات وهي في النصف الغربي من الصحراء فاتخذوا من ولاته أول مركز للطريقة ولاكن أحفادهم طردوا من هذه المدينة فيما بعد، فلجأوا إلى تمبكتو في مستهل القرن التاسع عشر، ونجد النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر في العالم الإسلامي تأثيرا عميقا، تدفع بالقادرية الذين كانوا يقيمون بالصحراء الكبرى وفى السودان الغربي على نشر دعوتهم، ولم يمض وقت طويل حتى قامت للطريقة القادرية مراكز كبيرة في تمبو بجبال فوتالاجون ميسردو الواقعة في بلاد المانجو [12].

وللورد القادرية طرق متعددة، حسب أحوال المريدين ومقاماتهم، فمنها ما يقرأ كل يوم، ومنها ما يقرأ خمس مرات في اليوم عقب كل صلاة فرض، ومنها ما يقرأ فقط في الأسبوع في جماعة، ومنه ما هو عقب صلاة العصر، ويسمى بالوظيفة، وهذه الأذكار ببساطتها، وعدم تعقيدها، وكذلك اعتمادها على الذكر الذي يستمد ذاته من القرآن والسنة المطهرة، أعطت للقادرية مناعة دينية، جعلت أقطابها من علماء هذه الأمة.

وقد انتشرت القادرية في إفريقيا والمغرب العربي، فلعبت دورا كبيرا في الإصلاح في جميع المجالات، ونشرت الإسلام الوسطي المعتدل عبر مراكز التنوير الإسلامي وسط شعب وثني رحب برجال الطريقة القادرية باعتبارهم مشايخ وأئمة وفقهاء وأصحاب أسرار ومعلمين وسرعان ما تطور الدخول في الاسلام من أفراد إلى جماعات صغيرة وعلى هذا النحو تسربت نواة الإسلام إلى عباد الأوثان والأصنام، وانتشرت العقيدة تدريجيا انتشارا عظيما بصفة مستمرة، كما كان معظم المعلمين قد تربوا في كنف الطريقة القادرية، وقد كان انتشار ونشاط هذه الجماعات في الدعوة ذا طابع سلمي للغاية، يعتمد كل الاعتماد على الارشاد، كما لا نجد في كتاباتهم أي عداء أو سوء نية نحو المسيحيين.

وتنقسم القادرية إلى شعبتين:

القادرية: البكائية: ترجع في أسانيدها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (470)هـ-561هـ). وقد دخلت البلاد الموريتانية عن طريق سيد أعمر بن الشيخ سيد أحمد البكاي الذى أخذ الطريقة عن محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت934هـ-1520م) عبر سند طويل وعرفت هذه الطريقة أوجها مع الشيخ سيد المختار الكنتي، حيث انتشرت بسرعة في أوساط عريضة تجاوزت الحدود الموريتانية أما تعاليم هذه الطريقة فلم تكن حادة ولا موغلة في

11 التصوف في بلاد شنقيط: مرجعيته القرآنية ومناهجه التربوية (خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين 18-19م

تربيتها بل نجدها تتبرأ من التواجد والشطح وغيره من مظاهر التصوف المألوفة.

هذا عن رعيلها الأول، لاكن انفصاما حدث بسبب انكباب أتباع هذه الشعبة ومريديها على أمور أخرى هي الطلاسم والجداول والأوقاف، حتى كاد يخيل للناظر أن الطريقة البكائية لا تعنى غير هذه الأمور الميتافيزقية...، ويمكن تلمس هذا التحريف بجلاء بالرجوع إلى المصادر المكتوبة للطريقة ولتعاليم سلفها المعتمد سنديا.

ومن أشهر شيوخ هذه الشعبة في البلاد الموريتانية بعد الشيخ سيدى المختار الكنتي، وابنه الشيخ سيدى محمد، والشيخ سيديا الكبير بن المختار بن الهيبه، والشيخ القاضى بن الحاج الإجيجبي، وظلت الطريقة البكائية منفردة بالقاعدة الشعبية حتى زاحمتها طرق أخرى غير قادرية.

ومن المعلوم كما أسلفنا، أن هذا الفرع من القادرية –البكائية–، أسسه الشيخ سيدى أعمر بن الشيخ سيدى أحمد البكائي في القرن العاشر الميلادي، وكان كثير الأسفار إلى الشمال، وفى إحدى هذه الأسفار لقي الشيخ سيدى أعمر بن الشيخ سيدى أحمد البكائي في توات، وقد بلغت هذه الشعبة أوج مجدها مع ظهور الشيخ سيدي المختار الكنتي الذى عاش بين 1730م –1811، وكان هذا الشيخ يمتاز بغزارة العلم والاستقامة – كما ذكرنا آنفا–، وكانت الأفواج تفد إليه لتنهل من علمه وتعود إلى مناطقها حاملة آراء نشر الطريقة القادرية، وعنه أخذ الشيخ سيديا، وتربى تربية صوفية في حضرته، ثم في حضرة ابنه الشيخ سيدى محمد، ثم عاد عام 1826م، فنشر الطريقة القادرية في مناطق تمتد من جنوب بلاد شنقيط (موريتانيا) إلى السنغال والسودان وغينيا، وعنه أخذ الشيخ أحمد بن اسليمان من علماء أولاد ديمان، والشيخ أحمد بن حبيب الرحمان، والشيخ سيدي المختار، كما أخذ عنه الشيخ المصطفى بن العربي الأبيرى. وإلى نفس الفرع ينتسب الشيخ محمد المامى، ومجموعة أهل بارك الله في الساحل، والشيخ لمرابط عبد الفتاح التركزي في البراكنة.

وقد انتشرت هذه الطريقة بسرعة في أوساط عديدة تجاوزت الحدود الموريتانية، أما تعاليم هذه الطريقة، فلم تكن حادة ولا متوغلة بل نجدها تبرأ من التواجد والشطح وغيره من المظاهر....، غير أن انفصاما حصل على الرعيل الأول، حيث انكب المريدون والأتباع على الطلاسم والجداول والأوقاف حتى يخيل إلى المرء أن الطريقة البكائية لا تعنى إلا هذه الأساليب الميتافيزقية – كما أسلفنا قبل قليل–، ويمكن تلمس هذا التحريف بجلاء عند الرجوع إلى المصادر المكتوبة بالطريقة، وكذلك تعاليم سلفها المعتمد سنديا، ولهذه الطريقة فروع أخرى خاصة في مدينة انجاسان، وقد انتقل إليها نشاط الكنتيي،ن وكان نفوذهم يمتد في قبائل بمبارا في جمهورية مالى على أنه يلاحظ أنهم لا يلعبون دورا يضاهى الأسر الأخرى من اصحاب الطرق الأخرى..

وقد أسلفنا أن هذه الشعبة البكائية، أسسها الشيخ سيدى أعمر بن الشيخ سيدى أحمد البكاي في القرن العاشر، وكان قد سافر إلى الشمال مرارا والتقى الشيخ عبد الكريم المغيلى في توات، وأخذ عنه وبلغت هذه الطريقة أوج ازدهارها مع ظهور الشيخ سيدى المختار الكنتي (ت1226هـ)، وإلى هذه الشعبة ينتسب الشيخ سيديا الكبير، الذى تلقى العلم والتربية الصوفية في حضرة الشيخ سيدى المختار الكنتي، ثم في حضرة ابنه الشيخ سيدى محمد وعاد سنة 1242هـ، فنشر القادرية في مناطق تمتد من جنوب بلاد شنقيط إلى السنغال والسودان وغينيا، وعنه أخذ الشيخ أحمد بن سليمان الديماني، والشيخ أحمد حبيب الرحمان التندغي، وعن الشيخ سيد المختار أخذ الشيخ القاضى الإجيجبي، وإلى نفسها ينتسب الشيخ محمد المامى ولمرابط عبد الفتاح التركزي في منطقة لبراكنة، والشيخ ولد المنى في تكانت.

ويضيف ولد البراء: "تنسب الطريقة القادرية البكائية إلى سيدي أحمد البكاي (ت 920 هـ/ 1514 م) بن سيدي محمد الكنتي الذي لا نعرف عنه إلا رحلته السياحية التي قادته من الشمال (مشارف وادي نون الساقية الحمراء) إلى قرية ولاتة، فاستقر بها بعد أن رغب فيه أهلها، عندما رأوا من لائح بركته وصلاحه، فرضى بالمقام معهم، إلى أن توفي وقبره هنالك مزور مشهور".

لقد تفرعت الطريقة البكائية هذه حتى أخذ عنها جل أعلام المنطقة، وذلك عندما عرفت أوج ازدهارها وقوتها، مع أحد حفدة الشيخ سيدي اعمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي، وتمتاز هذه الطريقة بعدة مميزات منها: عدم الشطح والتزام الذكر سرا، وعدم التجمل بلباس الردئ من الثياب، وعدم الصرامة في تحريم الغناء، كما تمتاز بانتشار أدبيات علوم السر في تراثها، وقد تميزت الطريقة المختارية، بأنها جمعت بين العلم والتصوف والسياسة، فكان جل تلامذته لهم دوركبير وإسهام في السياسية، وحضورهم العلمي والروحي المميزين، ولذلك نجد ولد البراء يقول: إن التصوف لم يعرف ذلك الجدل –بحدة كبيرة– الذي عرفه أصحاب التصوف في أقطار العالم الإسلامي، أو ما يعرف بصراع الفقهاء والمتصوفة، لأن المتصوفة في بلاد شنقيط كانوا فقهاء، وتمثل حضرة الشيخ سيدي المختار، وهو أحد أبرز مشائخ الطريقة القادرية المختارية في موريتانيا والسينغال، مجالا للعلم والتصوف، فسيحا فتبارز العلماء الآتون من شتى الجهات، في تدارس فنون العلم، وحل المعضلات الفقهية العويصة، والتنافس في عمل الخير والخدمة، واستمرت التربية تعطي أكلها كل حين في تربية المريدين وترقيتهم، حتى نشأ من ذلك مناخ علمي وروحي، تآخى فيه المتنافسون من أهل السلطان، وتلاقى المتنابذون بالحروب والسيوف، وتناغمت أصوات الذاكرين من مختلف الأجناس والبلدان

وقد تواصل مد هذا الفرع من الطريقة القادرية المختارية بإشعاع متألق في المنطقة، وقد تخرج منها فطاحلة علماء التصوف، واتسعت رقعة انتشارها، لتشمل مالي والنيجر، إضافة لشنقيط والسينغال...، وكانت الحياة الثقافية متألقة لا سيما في عهد الشيخ سيدى المختار الكبير، وابنه خليفته سيدي محمد

ويرى د. ظريف أن القرن التاسع عشر، قد عرف تواصلا لانتشار الطريقة على يد الشيخ سيدي محمد وإخوته وأبنائه، إلا أنه يضيف د ظريف مع ظهور الفاضلية كفرع من القادرية، والتيجانية كطريق صوفي مستقل، وبصورة جذابة وإقبال الناس عليها بحماس، وكذلك طلائع الاستعمار الأوروبي في ثوبه التبشيري، كلها أشياء بدأت تحد من توسع الكنتية وتألقها [13].

التربية عند هذا الفرع:

يرى هذا الفرع –كغيره – أن تربية المريدين، وتطهير نفوسهم بالأذكار والأوراد... والتأمل ومطالعة كتب التصوف، ومع هذا لابد من سلوك طريق شاق كثير المسالك والمهالك، يبدأ

بالمجاهدة وينتهي بالمشاهدة، ويتم ذلك على يد شيخ ناصح عارف، ومن خلال هذه المرحلة انتظم المريدون في طقوس، من تعاطي الأوراد والذكر، إذ أجمع المشايخ أن المريد ما سلك طريقا أصح وأوضح من الذكر، ولذلك ينبغي للذاكر أن لا يشتغل بشيء سواه، ما عدا الفرائض والسنن المؤكدة، فما للمحب شأن أشرف وأعلى من الاشتغال بذكر محبوبه، على رجاء وصاله ومشاهدة جماله، واعتمد شيوخ هذه المرحلة على جملة أوراد، لا تختلف

12 محمد ظريف، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية،

كثيرا عن أوراد القادرية، في ربوعها الأولى (بغداد) وهي كالتالي:

1- سبحان الله. وتقرأ ثلاثا وثلاثين مرة.

2- الحمد لله. وتقرأ ثلاثا وثلاثين مرة أيضا.

3- الله أكبر. وتقرأ ثلاثا وثلاثين مرة أيضا.

4- الحمد لله سيد الكون. وتقرأ ثلاثة عشر مرة.

5- اللهم انشر رحمتك وبركاتك على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليما.

وتقرأ هذه الأوراد والأذكار عقب كل صلاة، وتستمد أصولها من الكتاب والسنة وأدعية السلف الصالح.

ولم يقتصر دور شيوخ هذه المرحلة على التربية الروحية للمريدين، وتأسيس طقوس من الأذكار والأوراد، بل تجاوز ذلك إلى دور آخر هو خلق إطار إنتاجي له فوائد اقتصادية، لسكان المنطقة من بيضان وسودان، وذلك ما سماه بعض الباحثين بالتوازن

فقد هيأتهم مكانتهم الدينية والعلمية، وصيتهم الطيب عند قبائل السودان والبيضان، وموقع زاويتهم الاستراتيجي داخل الصحراء، وإشراف قبيلتهم على سبخة « إيجيل» لإنجاز مجموعة من المشاريع الاصلاحية في هذه المنطقة، فقاموا بحفر الآبار، وغرس النخيل على طول الطرق التجارية؛ لتوفير الراحة والطمأنينة للمسافرين وأبناء السبيل.

وقد اشتهر الشيخ الكنتي بحسن الضيافة والانفاق، وقد أورد ظريف كذلك دورا رياديا لهذا الشيخ في السياسة والسفارة، بين المجموعات المتقاتلة مثل حصار الطوارق لمدينة تنبكتو التاريخية، وسعي الشيخ لفك ذلك الحصار بالحل السلمي، وذلك ما حققه وأنقذ تلك المدينة من دمار محقق وبهذا يكون الشيخ الكنتي قد أخرج التصوف من خلوته وتنسكه، إلى مسرح الحياة وما يدور فيها من أحداث سياسية واجتماعية؛ مما أعطى للزاوية الكنتية قيمة مزدوجة بفعل ديناميكية أشخاصها..

وقد كان الشيخ سيدي المختار الكبير على اطلاع واسع بما يدور في العالم الاسلامي من أحداث، حيث كانت له مواقف سياسية كبرى على المستوى المحلي، وعلى مستوى العالم الإسلامي، مما يعطي صورة عن وسع أفق كبار علماء التصوف في شنقيط ودورهم خلال تلك الفترة ويأتي رفض شيوخ القادرية الكنتية في أقصى الشرق: الموريتاني للوهابية، نابعا من تشبثهم بنقيضه السياسي والفكري، وهو الشرعية كما كان للشيخ سيدى المختار الكنتي الكبير، صلات برواد التجديد والاصلاح في العالم العربي، حيث اعتبر ولد السالم أن الشيخ الكنتي كانت تربطه صلات وثيقة بالمثقفين المشارقة الكبار، أمثال محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، وكذلك رفاعة الطهطاوي..

فروع تابعة للقادرية البكائية الكنتية:

أولا: الشيخ سيديا الكبير

لقد تفرعت الزاوية الكنتية من خلال تلامذة الشيخ الكنتي الكبير، إلى فروع كان لها أثر بارز في عملية إعادة الحيوية للزاوية، كما كان لشيوخ هذه الفروع دور كبير وحضور فعال في مسرح الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مثل: نازلة المستعمر التي ستصبح محل خلاف بين أقطاب هذه الفروع، فعندما أوجب الشيخ سيديا

بابا مجيء المستعمر، للبلد نظرا لاحتياجه لسلطة رادعة لما تعرفه المنطقة من سيبة أمنية، نجد بعض الكنتيين يحمل السلاح في وجه المستعمر، ويكفرون من تعامل معه مثل: المختار ولد الحامد،.والشيخ سيديا الكبير غني عن التعريف لذلك سنضرب القول صفحا عن التعريف به لشهرته، وعن الشيخ سيديا الكبير يقول أحمد الأمين الشنقيطي: " أتيت الشيخ سيد المختار الكنتي منتهيا من العلوم فردني مبتدءا ".

وقد يكون الشيخ سيديا يعني بذلك علم الباطن أي العلوم الصوفية، وقد مكث في الزاوية الكنتية قرابة خمسة عشر عام ما بين 1811 م إلى 1826 م حتى نهل من تلك الزاوية ذات المنهج العلمي والتخصص الفقهي المميزين، وفي سنة 1827 م "قدم على قومه بمنطقة الجنوب الغربي من هذه البلاد، وأسس مدينة "بوتليمت"، وقد ظلت أسرة أهل الشيخ سيديا بفضل غزارة علم الجد المؤسس "علم على رأسه نار"، ولعبت دوراكبيرا في شتى المجالات والأصعدة....، وأخذت طريقتهم الصوفية ذات المنهج القرآني في الانتشار في القرى والمدن السينغالية، وأخذ عنهم الطريقة مشاهير سنغاليين أمثال الشيخ محمد بامبا(ت 1346 هـ- 1927 م) الذي استقل فيما بعد وأصبح يطلق على طريقته المووريدية، ومع ذلك ظل يحتفظ لشيخه الأول (الشيخ سيديا الكبير) بدوره في تكوينه.

وقد كان الشيخ سيديا الكبير كثير الأسفار، ولم يعد إلى قومه إلا بعد أن بلغ السابع والأربعين من عمره، لكن عاد متوجا بالعلم والبركة من طرف شيخين كبيرين من مشائخ كنتة، وأصبح هو نفسه رجلا صالحا وشيخا عالما، وعاش بعد ذلك أربعين عاما. وقد أظهر الشيخ سيديا الكبير شأنه شأن كل المشائخ الموريتانيين الذي أصبحت القدرة على إظهار الكرامات دليلا ضروريا على صلاحهم الكثير من الكرامات وبعد الشيخ سيديا الكبير، خلفه ابنه الشيخ سيدي محمد، لكن عاجلته المنية ولم يمكث بعده إلا سنة واحدة ليخلف ولده سيديا بابا، الذي ولد سنة 1862 م، ورغم أن والده وجده قد توفيا عنه وهو مازال صبيا، فإنه تلقى التعليم على يد عدة شيوخ وعلماء، فمنذ أن حصل على جملة المعارف المتوسطة، والتي استطاع أساتذته تزويده بها، بدأ في استكمال معارفه عن طريق شراء الكتب المطبوعة والمخطوطة، ونسخه للبعض منها بنفسه، وقراءة الصحف والمجلات العربية، والحوارات مع العلماء الأجانب والمشاهير والشيوخ، لا في مجتمع البيضان فحسب، بل في مجتمع الزنوج أيضا، لكنه استكمل تكوينه على وجه الخصوص عن طريق الكثير من التأمل الشخصي. وقد أصبح في الوقت الراهن مفكرا في غاية الذكاء والعمق، وشدة الانفتاح وغزارة العلم، وهو بالتأكيد أحد أبرز شيوخ قبائل الزوايا.

ويضيف ابول مورتى عن مخيم باب بن الشيخ سيديا قائلا: " إنه يضم حوالي مائة خيمة على الأقل، تنتشر بشكل عشوائي وتتنوع أشكال هذه الخيم وموادها المصنوعة منها وتتكون إقامته هو في ثلاث منها جميلة وواسعة على حد تعبيره، ويضيف تعتبرزاويته من بين أكثر الزوايا شهرة بالعلم والقداسة، ويتعلم فيها الطلاب كل العلوم الشرعية[14]

أما عن إشعاع هذه الزاوية الديني وخاصة بتدريس القرآن الكريم فإنه وخلال مطلع القرن العشرين أي 1912 م بلغ عدد المدارس القرآنية 37 مدرسة وبلغ إجمال: طلابها 348 طالب، وهذا داخل الخيام. أما في السنغال فيقول بول مارتي ولا يكتمل جدول النفوذ الديني للشيخ سيديا إذا لم نشر إلى عدد كبير من معلمي المدارس البيضانية للصغار المنحدرين من أولاد أبيير يدرسون القرآن لأطفال الزنوج على ضفاف نهر السنغال، ووراء ذلك بعيدا في

13 ابول مارتى دراسات حول الإسلام في موريتانيا، ترجمة وتقديم الدكتور البكاي ولد عبد المالك

الداخل وهم أعوان أقوياء لنشر الإسلام، وهم على وجه الخصوص ناشرون أقوياء أيضا لطريقة الشيخ سيديا القادرية البيكائية.

الصديقية:

تعتبر هذه الطريقة من الطرق القادرية، إلا أنها مستقلة عن الأولى والثانية، وترجع هذه الطريقة إلى مؤسسها الشريف: الحسني سيد محمد (الصعيدي) بن سعد بن عبد الله بن محمد، الذي يتصل نسبه بالشيخ عبد القادر الجيلاني، اشتهر هذا الشيخ باسم الشريف عند سكان منطقة الجنوب الغربي، من منطقتنا المدروسة، عندما حل بها فألهج بذلك عالمهم وعاملهم حتى أخذها الشيخ محمد عبد الحي فأخذ عنه عدد من: مدلش وتندغ... وغيرهم من قبائل ترارزة، وتتميز في الاعتماد على الرقص والغناء وآلات الطرب...

الطريقة التيجانية

تبين لنا من خلال ما رأينا أن في موريتانيا ثلاث طرق القادرية والشاذلية، والتفريعات التي استقلت عنهما، أما الآن فإننا نحط الرحال مع آخر الطرق الصوفية وصولا إلى المنطقة، وذلك مع الطريقة التجانية، وسنحاول كذلك أن نتعرف على الطوائف التابعة للتيجانية في هذه البلاد، حيث جاء بها رجال وأسسوا زوايا كانت لها كبير التأثير على البنية الدينة والثقافية للبلد، ما بين رافض منتقد، ومتقبل معتنق لها، وقد أحدث وصول التجانية لبلاد شنقيط هزة كبرى، وذلك مع عودة محمد الحافظ العلوي من حجته، فكيف كان ذلك؟

هذه الطريقة هي إحدى الطرق السائدة في بلاد شنقيط وهي أحدثها نشأة وأوسعها انتشارا في إفريا الغربية وهي تنسب إلى سيد أحمد بن محمد سالم التيجاني نزيل فاس (1150هـ) ومن أبرز روادها فارس شنقيط سيدى محمد الطالب جدو، والشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب، وسيدى محمد الصغير التيشيتى، وقد بلغت الطريقة التيجانية قمة انتشارها في إفريقيا على يد الشيخ ابراهيم انياس، ومن أبرز روادها كذلك الشيخ عمر الفوتي، والحاج مالك سى، وفى مطلع القرن العشرين تشكلت في شرق بلاد شنقيط وغرب السودان شعبة جديدة من الطريقة التيجانية هي الطريق الحموية نسبة إلى الشيخ حماه الله التشيتي الشنقيطي.

وتعتبر التجانية من الطرق التي دخلت موريتانيا وهي من أوسعها انتشارا بعد الطريقة القادرية،

ترجع هذه الطريقة – كما أسلفنا– إلى سيد أحمد بن محمد سالم التيجاني نزيل فاس (1150هـ–1737م) ودخلت هذه الطريقة البلاد الموريتانية على يد الشيخ محمد الحافظ العلوي (ت 1247هـ – 1828م) غداة مقفله من الحج حيث التقى بالشيخ التيجاني وتعلم عليه وتربى لديه وعاد إلى بلاده لينشره طريقته لدى من يعجبهم طرحها وطريقتها، غير أن هذه الطريقة لم تلبث أن انقسمت على نفسها إلى قسمين رئيسيين.

التيجانية الحافظية: نسبة إلى الشيخ محمد الحافظ العلوي

الطريقة الحافظية، نسبة إلى الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب العلوي

(ت 1241 هـ/ 1832 م) وهو فقيه وشيخ صوفي كبير، أخذ الطريقة التيجانية عن مؤسسها بمدينة فاس أثناء مروره به عند رجوعه من الحج فعاد سنة 1220 ونشرها في بلاده وأصبح خليفة التيجانية في هذه االبلاد، وقال ظريف في هذا الصدد ظهرت هذه الطائفة على يد الشيخ محمد الحافظ العلوي (ت 1245 هـ– 1829 م) وقد كانت في البداية منحصرة في مدينة شنقيط، ثم ما لبثت أن عمت مختلف الأقاليم الصحراوية، وخاصة قبائل

إدواعلي المنتشرة في آدرار، وتاكانت وبلاد ترارزة [15].

وتذكر مراجع هذا الفرع من التجانية، أن الشيخ محمد الحافظ، كان يبحث عن طريقة صوفية، بعد أن تزود في مضارب قومه بالعلوم الشرعية، فقام برحلة إلى الحج ليحصل على مبتغاه هناك وقد كان الشيخ مؤهلا فكريا ونفسيا لحمل الرسالة التجانية، ونشرها بين القبائل الصحراوية، مثل الشيخ أحمد التجاني، وهذا يعني أنه صار خليفة لشيخه في الصحراء الشنقيطية، بعد تلك الرحلة التي قادته إلى فاس، فكيف تم ذلك؟ هذا ما سنرى إن شاء الله، فبعد ان حصل الشيخ محمد الحافظ من العلوم الشرعية ما حصل » وجال في معظم المحاضر الشنقيطية وصار إماما يرجع إليه فيها، ركز جل اهتمامه على البحث عن شيخ يرشده إلى طريق الهدوء، فشد الرحلة إلى الديار المقدسة؛ لهذا الغرض فلما وصل مكة، جعل ذلك كل همه فيسر الله له هذا الأمر، وهداه إليه دون عناء، وبعد أن دله البحث عن بغيته على الشيخ أحمد التجاني، واطلعه على حقيقته، توجه إلى فاس للقائه، فقام عنده في زاويته...فأجازه إجازة مطلقة [16]

وقد قام الشيخ محمد الحافظ، بترسيخ الطريقة التجانية في الصحراء، بإنشاء المحاضر والزوايا، وتكوين المريدين، وإشاعة المحبة والمآخاة بين الناس، وقد جمعت زاويته بين علم الظاهر، وعلم الباطن، وخرجت علماء أجلاء، وشعراء مميزين أمثال:

سيدي محمد بن عبد الله (ت 1264 هـ - 1847 م) عالم وشاعر تولى دور الدفاع عن التجانية ومبادئها والترويج لأفكارها، وباب ولد أحمد بيبا(ت 1276 هـ- 1859 م)

ومحمد بن سيد محمد (ت 1272 هـ- 1855 م) شاعر أيضا، والتجاني بن باب بن أحمد بيبا، محمد بن أحمد الصغيربن أنبوج (ت 1260 هـ)، وقد ألف في الدفاع عن التجانية

(الجيش الكفيل) و(كاشف الإلباس)، وستعرف التجانية بعد هؤلاء الأشياخ ثورة علمية وعرفانية، قطعت بها أشواطا من التألق والازدهار،على يد شيخان ولد الطلبه (ت 1406 هـ- 1986 م)، الذي جددها على الشيخ ابراهيم إنياس الذي كاد أن يملأ الدنيا ويشغل الناس.

التيجانية الحموية:

نسبة إلى الشيخ حماه الله التيشيتي الذى اشتهر بمقارعة الهيمنة الفرنسية مما كان سببا في إجلائه إلى باريز وموته بها في نهاية أربعينيات القرن العشرين.

أسس هذه الفرقة الشيخ أحمد حماه الله المتوفى سنة 1943 م وهو من أب عربي، وأم تكلورية فلانية، تدعى عائشة ديالو، وكان عمريا أولا، حتى قدم شريف تجاني من توات، اسمه السيد محمد بن أحمد بن عبد الله، ويدعى بالشريف الأخضر...

وأخذ عنه الطريقة، وبعد وفاة الشريف الخضر هذا أظهر حماه الله للناس أولا كمصلح ديني واجتماعي، ثم ما لبث أن خالف التجانية الأخرى في قراءة جوهرة الكمال، إلى إحدى عشر بدلا من إثنى عشر، وأدى الخلاف

14 الفتاوى الكبرى،

15 التصوف في بلاد شنقيط: (خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين 18-19

بينهما إلى الاقتتال أحيانا، ومن مخالفته للطرق التيجانية الأخرى، أنه كان يأمر الناس أن تصلى قصرا، بحجة أنهم غير مستقرين، نظرا لوجود الاحتلال وسيطرته على البلاد، وعن اختلاف هذه الطريقة، عن باقي الطرق التجانية يقول الباحث يحيى ولد البراء: " ظهر هذا الفرع من الطريقة التجانية في سنة 1921 م وهو منسوب إلى الشيخ حماه الله بن محمد... التيشيتي وتختلف هذه الطريقة شيئا ما عن فروع التجانية، التي تحدثنا عنها من حيث متن الورد، ومن حيث سند الأخذ.

ومن مميزات هذه الطريقة هي: عداؤها المتحكم للمستعمر الفرنسي، مما أدى بشيخها الشيخ حماه الله إلى النفي مرتين، مما يعرف في مصطلحات هذا الفرع بالغيبة الصغرى والغيبة الكبرى وذلك أن الأولى كانت خمس سنوات، عاد بعدها الشيخ، والثانية لم يعد منها حتى الآن، وما زالوا في انتظاره ويعتقدون بسلامته وعودته. وفي عودته من الغيبة الصغرى بدأ بقصر الصلاة فيما بين 1936 و 1937 م معتمدا في هذا الحكم على قول الشيخ خليل رحمه الله: « إلا المعسكر بدار الحرب » ويرجع سند الشيخ حماه الله إلى سيدي محمد بن عيد الأخضر الذي أخذها.

عن سيد الطاهر بواسطة التلمساني من الشيخ التيجاني نفسه، وقد صب بعض الفقهاء، جام غضبهم على هذه الطريقة، وأنكروا عليها بعض شطحاتها، ووقعت مناظرات بين علمائها، والفقهاء الذين أنكروا عليها، وعلى رأسهم العالم افاه ولد الشيخ المهدي ؛ مما أدى بعد ذلك إلى وقعة « أم اشكاك » سنة 1940م بين أنصار الشيخ حماه الله من قبيلة لقلال، وبعض التلاميذ بقيادة ابن الشيخ بابا، وقبيلة تنواجيو بقيادة افاه ولد المهدي، العالم القادري الذي أنكر على الشيخ حماه الله شديد الإنكار، مما أدى بنفي الأول إلى أبى تلميت غرب البلاد، وبالثاني إلى فرنسا، في الغيبة الكبرى وإعدام ابنيه بابا وأحمد [17].

وورد التجانية هو كما ذكر الشيخ ماء العينين في كتابه نعت البدايات:

هو: بسم الله الرحمان، اللهم إنى نويت بتلاوة هذا الورد تعظيمك وإجلالك وابتغاء مرضاتك وقصدا لوجهك الكريم ومخلصا لك من أجلك وأقول بإمدادك وعونك وحولك وقوتك بما وهبتنى من إنعامك وتوفيقك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7).

أستغفر الله مائة.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم مائة مرة

لا إلاه إلا الله مائة

إن الله وملائكته يصلون على النبي.. الآية.

سبحان ربك رب العزة... الآية..

16 رسالة د. محمد فاضل محمد الحطاب دكتوراه دوله الطريقة الفاضلية، نشأتها، طرحها، نشاطها، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية تونس /1999-2000/

ثم ذكر الشيخ ماء العينين أن هذا ورد الصباح وأنه يزيد في المساء جوهرة الكمال اثنتي عشرة مرة ، ولم نأتى بها لطولها.

وبالجملة فإنه من نافلة القول أن فئة الزوايا حققت بالطرق الصوفية ما عجزت عن تحقيقه بأكثر من وسيلة أخرى حيث أفلحت في خلق إطار روحي يتجاوز الولاءات القبلية بجمعهم تحت عناية شيخ واحد مجموعة من القبائل المتعارضة المصالح والمتباينة الأصول والمتنافرة في الغالب مما سمح لها بتشكيل مؤسسات روحية موازية للتنظيمات السياسية (الامارات عند حسان). بل إن دور مشايخ الطرق الصوفية – ومن خلالها الزوايا – جعل بعض أبناء حسان يمتثل أوامرها وينتظر تعليماتها واستطاع مشايخ الصوفية رغم تباين طقوسهم أن يجدوا لأنفسهم قواسم مشتركة تشكل سدى اللحمة بينها تمثلت أساسا في ثلاث

– اتصال أسانيدها برسول لله صلى الله عليه وسلم

– اتفاق هذه المشايخ على أن هدفها الأسمى هو صقل النفس وعبادة الله جل وعلا على وفق ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم

– اعتماد كل واحد منهم على قبيلة ما تعتبر نفسها المسؤولة عن هذه الطريق أو تلك القبيلة – الطريقة–

وفى ظل هذا الطموح القبلي – الطرقي ولدت طريقة أخرى لها ذات الخصوصيات وقد زادت هذه الطريقة مع ما ذكرنا آنفا من نسبتها السندية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبتها السلالية كما يقول أحد رواد هذه الطريقة وهو الشيخ محمد فاضل بن لحبيب اليعقوبي، مما أعطاها رواجا ومصداقية ومحبة عظيمة في نفوس روادها محبة منهم وتوقيرا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رواج افتقرت إليه كثير من الطرق الموريتانية الأخرى، وعرفت هذه الطريقة باسم القادرية الفاضلية.

أسس الطريقة الفاضلية الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي أسسها في منطقة الحوض شرق موريتانيا لتمتد بعد ذلك على أيادى بنيه وتلامذته في جميع أنحاء المعمورة،، فقد اتخذ الشيخ محمد فاضل سياسة حكيمة فوزع أبناءه في البلاد فكان لكل منهم منهج ومنطقة نفوذ خاصة به فقد بعث ابنه الشيخ سعد أبيه إلى ولاية الترارزة وابنه الشيخ ماء العينين إلى أرض السمارة، وابنه الشيخ محمد تقي الله إلى منطقة تكيكل قرب ولاته، وبقي ابنه الشيخ سيدى الخير في الحوض كما بيناه في مقال يخص الطريقة الفاضليةن نشره نشره في فرصة أخرى إن شاء الله...

خاتمة: وفى نهاية هذا العمل يجدر بنا أن أجمل باختصار ما رأينا في هذا البحث، من الكلام على، أهم الطرق الصوفية في موريتانيا، وما صاحب وصولها، وتاريخه وكيفيته، من النتائج كذلك التي تضمنها هذا العمل، وأظهر ما تبدى من دور بارز لمشايخ الطرق "مشايخ الشريعة والحقيقة في بلاد شنقيط "، فالزوايا الصوفية في موريتانيا أصحابها هم العلماء وشيوخ المحاظر، حاربت الطرق التطرف والعنف....، أن التصوف في بلاد شنقيط شكل أهم عامل في وحدة الإسلام والمسلمين لتسامحه في المنهج وتجنبه التكفير وتعظيم حرمة المسلم وعدم الخروج على الحاكم.. إلخ

قائمة المراجع

1. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية المؤلف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: 1360هـ) مع تعليق: عبد المجيد خيالي الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
2. الخليل النحوي بلاد شنقيط المنارة والرباط، الجمعية العربية....تونس 1987،
3. محمد ظريف الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية، بحث لنيل دكتوراه إشراف عباس الجراري، كلية الآداب 1993 بالرباط مرقونة.
4. مجموعة الفتاوى الكبرى
5. أحمد حبيب الله، ندوة تطوان 2009
6. السيدية السبعية، التجاني، مرقون،
7. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك المؤلف: أحمد بن الأمين الشّنْقِيطي (المتوفى: ١٣٣١هـ) عني بتصحيحه وتنقيحه: المؤلف الناشر: الشركة الدولية للطباعة – مصر الطبعة: الخامسة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م
8. التصوف في بلاد شنقيط: مرجعيته القرآنية ومناهجه التربوية (خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين18-19م،
9. الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960)، رسالة الماجستير في الدراسات الإفريقية من قسم التاريخ (التاريخ الحديث المعاصر
10. الشيخ ماء العينين نعت البدايات، إصدارات الساحة الخزرجية – أبوظبي دولة الإمارات العربية المتحدة 1430- 2009،
11. التصوف في بلاد شنقيط: مرجعيته القرآنية ومناهجه التربوية (خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين 18-19م
12. محمد ظريف، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية،
13. ابول مارتى دراسات حول الإسلام في موريتانيا، ترجمة وتقديم الدكتور البكاي ولد عبد المالك
14. الفتاوى الكبرى،
15. التصوف في بلاد شنقيط: (خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين 18-19

16 رسالة د. محمد فاضل محمد الحطاب دكتوراه دوله الطريقة الفاضلية، نشأتها، طرحها، نشاطها، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية تونس /1999-2000/